الإحلال النحوي بين التنظير والدلالة

المدرس الدكتور
رشا ياس عبد نصار
جامعة بغداد ـ كلية التربية للبنات
rasha.y@coeduw.uobaghdad.edu.iq

Syntactic Substitution between theory and Semantics

Teach. Dr.
Rasha Yas Abd Nassar
University Of Baghdad - Cologe of education for women

الملخص:-

تُعد ظاهرة الإحلال في النحو العربي من أهم الظواهر العاملة على سبك النص، لما تتميز به من أسلوب ربط الجمل بعضها ببعض، بوصفها القابلية اللغوية لوضع (لفظ، أو فعل، أو جملة) محل أخرى، مع أخذ الامتياز الكامل لما حُل محله بوجود رابط خفي أو ظاهر بين الجمل، تحيل إلى ما هو غير معلن، لذلك هي عملية الإحلال والاستبدال من ناحية اللفظ والمعنى، فيكون النص ذا دلالة مغايرة، هذه الدلالة قائمة على الارتباط ضمن مفهوم الإحلال.

والإحلال بهذه الصورة من وضع لفظ مكان آخر بطريقة استبدالية احلالية، أو يُظهر المفهوم على أنّه أتى بالمعنى المطلوب، مع امتلاك البناء النحوي لما حُل مكانه، وهذه الصورة قد ناقشها النحويون القدماء وفي مقدمتهم سيبويه، لكن النقد الحديث عاملها ضمن مفهوم الارتباط والانسجام داخل النص، الذي يؤدي إلى عملية التحول في المعنى ضمن القدرة التي يمتلكها القائل في مجتمع ثقافي محدد.

والسؤال المركزي هل المفهوم الذي طرحه سيبويه والنقاد العرب القدماء هو مفهوم يقترب من المفهوم الحديث؟ أم أنّ المصطلح نفسه بمتبنيات حديثة بكامل مفاهيمه وتوابعه المعرفية والتطبيقية الدالة على المعنى المراد؟

هذا ما سيكشف عنه البحث في ضوء البحث عن النماذج العربية في طريقة الإحلال، وبيان أثر الإحلال في توجيه الدلالة، بوصف الإحلال عمل على تشكيل المعنى، والإحلال عمل على معنى ربما يكون مقارب للمعنى الأصلي، وربما خرج لمعانٍ بلاغية، فيكون الإحلال النحوي قائم على الصورة البلاغية التي يريد تشكيلها المتحدث.

ولا شك أنّ إرسال المعنى هو المغزى من النص، والبلاغة قائمة على فكرة الإرسال، ليكون الرابط بين فكرة الإحلال النحوي، والبلاغة ضمن مفهوم إرسال الرسالة، بذلك يمتلك مفهوم الإحلال المعنى المقارب للمعنى الأصلي في ضوء لارتباط، لكنه من الصعب أن يحمل المعنى الأصلي بكامله وكما هو.

لتكون البنية النصية بما تحمله من روابط سواء على مستوى التعبير أو على مستوى الصياغة قائمةً على الأساليب النحوية القادرة على توجيه المعنى بالطريقة التي أرادها المبدع أو القائل، والتي أدخلها عبد القاهر الجرجاني ضمن مفاهيم البلاغة.

الكلمات المفتاحية: إحلال- نحو- تنظير- دلالة.

Abstract:-

The phenomenon of substitution in Arabic grammar is one of the most important phenomena that appeared in making text as it is characterized by the method of linking sentences to each other. It has the linguistic ability to put (a word , verb or a sentence) place of another, with taking the full privilege of what was replaced with the existence of a hidden or apparent link between the sentences, it refers to what is not declared. So, It is the process of substitution and replacement in terms of word and meaning. So, the text has a different meaning, this meaning is based on the link within the concept of the substitution.

The substitution, in this image, which put a word in another place in a substitution way, or it shows the concept as having the desired meaning with the grammatical construction of what is replaced. This image has been discussed by the old grammarians , such as Sibawayh. However, the modern criticism treated it within the concept of connection and harmony within the text which leads to the process of transformation in meaning within the ability that the speaker possesses in a specific cultural community.

The central question : Is the concept put forward by Sibawayh and the ancient Arab critics a concept approaching the modern concept? Or is the term itself with modern adoptions in all its concepts and its cognitive and applied implications that indicate the intended meaning. This will be revealed in this research during researching the Arabic samples in the process of substitution.

Keywords: substitution, syntax, theorization, indication.

المقدمة:ـ

تُعد نظرية الاحلال من أحدث النظريات التي جاءت بها الدراسات اللسانية الحديثة، وربما يكون جومسكي هو المنضج للفكرة التي كانت سائدة قبله، بوصفه كان عاملًا على تحويل الاتجاه في الدراسة من الوصفية إلى التفسيرية، ومن ثمَّ الاتجاه نحو البناء العميق للغة، من دون التركيز في اتجاه محدد بالبنية السطحية[١]، الألفاظ والدوال المشكلة للمعنى، إذ كان العمل على بيان البنية العميقة للجملة، بوصفها تعبير عن الفكرة اللغوية في الذهن، ومن ثمَّ العناية بالكيفية التي يتمّ بها التعبير عن البنية العميقة، أي عملية التلاعب بالدوال ضمن التركيب النحوي، وإنتاج عدد لا نهائي من الجمل، وامكانية الاحلال في التركيب، أي عملية استعمال طريقة أو مفردة تنوب أو تقوم مقام ما كان مركبًا.

فقد كانت الدراسات السابقة لجومسكي تركز في طريقة توزيع البناء اللغوي المنتج للمعنى والمعبّر عن الفكرة، فقد كان بلومفيلد يركز في تحديد العناصر اللغوية ضمن وظائفها النحوية والصرفية والدلالية، بوصف المورفيم هو فونيم أو مجموعة فونيمات داخل بنية محددة[٢]، ولا يمكن لأيّ بناء تركيبي أن يمثل الفكرة الذهنية بالكامل، بل تكون الجملة حاملة لمعنى مهيمن، الذي يتمّ التركيز فيه، من دون نسيان وجود المعاني العاملة على بنائها بهذه الشاكلة، أي قضية ارتباط الدال بالمدلول، ومن ثمَّ ارتباط الجملة بالفكرة، وهو ما طرحه تمام حسان في مباحثه عن النظام اللغوي والفرق بين اللغة والكلام[٣]، فنحن إزاء بنية لغوية ذهنية، يكون المورفيم المكون من الفونيمات معبراً عنها، لكن الاختلاف في التناول يكون في البنية الكلامية المتشكلة من الدوال القادرة على صناعة المعنى، الذي يعمل على تشكيل الدلالة، ومن ثمَّ يدخل المتلقي في خضم العملية التواصلية للكشف عن الدلالة وهو ما تحدده ثقافته في الاستقبال، التي بُنيت على قواعد متفق عليها من قبل المجموعة التي ينتمي إليها.

والبناء النحو الذي يحدد طريقة عرض الكلام، لا يخرج عن الثقافة التي أنتجته، وهو ما جعل عبد القاهر الجرجاني يدخل الأساليب النحوية ضمن البلاغة العربية، بوصف البلاغة ثقافة شعب محدد "ولكنّ البلغاء في إطار شكلية البلاغة ... ربما فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلًا منها

"مقاماً"، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء، وهلم جرا. وكان من رأي البلاغيين أنّ "لكلِّ مقام مقالًا" لأن صورة "المقال" speech event تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام" context of sotuation، وما إذا كان يتطلب هذه الكلمة أو تلك، وهذا الأسلوب أو ذاك من أساليب الحقيقة أو المجاز، والإخبار أو الاستفهام، وهلم جرا. ... وبهذا المعنى يصبح للعلم الجديد الذي يأتي من امتزاج النحو والمعاني "مضون"؛ لأنه يصبح شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها وما يناط بكلِّ جملة منها من "معنًى"(٤).

وإذا كانت نظرية الاحلال من مخرجات الدراسات الحديثة بما تضمنتها من أفكار دقيقة في تناول اللغة، فلا بد من الاشارة إلى وجود الفكرة عند العرب، وبالتحديد عند سيبويه "يستغنون بالشَّيء عن الشَّيء الَّذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطًا... وأما استغناؤهم بالشَّيء عن الشَّيء فإنَّهم يقولون: يَدعُ، ولا يقولون: ودع، استغنوا عنها (بترك)، وأشباهُ ذلك كثير"(٥)، هذا يعني أنَّ العرب تستعمل مفردة ليستغنوا عن أخرى، أي تحل محلّها في النحو ومنتجة للمعنى المراد.

لكن السؤال الأهم الذي نريد التركيز فيه في هذا البحث، هل الاحلال في اللغة لا يؤدي إلى تغيير في الدلالة؟

إنَّ ما قدمناه من فكرة مسبقًا عن البنية الكلامية وتلبيتها للمعنى، وعدم امكانية نقل الفكرة كما هي، أو أنَّ البناء الكلامي لا يقدم كل ما يخص الفكرة بالكامل، بل هو معني بفكرة محددة، وضمن ثقافة محددة، فضلًا عن قابلية الارتباط بين الدال والمدلول وعدم امكانية النقل الكامل للبنية العميقة، يحيلنا إلى الفكرة الرئيسة في البحث وهي أنَّ البناء الجملي وامكانية الاحلال، لابد من وجود تغير في الدلالة، وهو ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في توظيف الأساليب النحوية وأثرها في تغيير المعنى، بوصف النحو ليس مجرد بنية كلامية تحتمل الصواب والخطأ، بل هو نظام من التركيب يعمل على توجيه الدلالة، لأنَّ اللغة رموز للمعنى، والرموز تحمل قابلية التشظي الدلالي، ليكون كلّ رمز عاملًا على تحويل الدلالة(٦).

وقد ركز الباحثون العرب في الجانب النحوي وأثره في سلامة التركيب داخل الجملة،

أي البحث عن الخطأ والصواب، وأثر الاحلال في البناء من ناحية شكل الجملة، في ما إذا أصابها النصب أو الرفع أو الجر أو غير ذلك ما يمثل احلال مفردة –دال- سواء أكان حرفًا أم لفظًا يؤدي المعنى المراد، من دون الاكتراث إلى الجانب الدلالي- ولا نقول إهمالًا- لأنَّ الجملة عندهم تركيب لفظي نحوي سليم مما ينتج المعنى السليم، ولا ننكر هذا الأمر، بقدر ما نركز في الكيفية التي أدت إلى تغيير الدلالة في الجملة، أي توجيه الدراسة إلى منطقة إشكالية، تحددها الثقافة والمرحلة الزمنية.

المبحث الأول

الاحلال في اللغة

جاء في المعجم أنَّ حلَّ تعني الاحلال في المكان "حلل: حَلّ بِالْمَكَانِ يَحُلُّ حُلولًا ومَحَلًّا وحَلًّا وحَلَلًا، بِفَكِّ التَّضْعِيفِ نَادِرٌ: وَذَلِكَ نُزُولُ الْقَوْمِ بِمَحَلَّة وَهُوَ نَقِيضُ الِارْتِحَالِ؛ قَالَ الأَسود بْنُ يَعْفُرَ:

كَمْ فاتَني مِنْ كَريمٍ كَانَ ذَا ثِقَة، يُذْكي الوَقُود بجُمْدٍ لَيْلَة الحَلَل"[٧]

فالمعنى اللغوي يشير إلى احلال شيء مكان شيء آخر، إي الدخول في المكان، وهو الاستعمال الذي يريده النحويون مع الاختلاف في المعنى عن باقي المفردات المقاربة له، مثل الاستبدال وغيره مما يدل على أخذ المكان، فتكون أحل بمعنى أنزال، وأحلَّه أنزله، أي أنزله فنزل[٨]، أي تتم عملية الازاحة مع أخذ الامتيازات التي تحلى بها سابقه، وهو ما وظف في النحو، والذي أشار إليه سيبويه "ومثله قولك: ألم تَعلم يا فلانُ مَسيرى فإتعاباً وطَرداً. فإنّما ذَكَرَ مُسرّحَه وذكر مَسيره، وهما عَمَلان، فجعل المسيرَ إتعابا وجعل المسرح لا عي فيه، وجعله فعلاً متّصلا إذا سار وإذا سَرّحَ.

وإنْ شئتَ رفعت هذا كلّه فجعلتَ الآخرَ هو الأوّلَ، فجاز على سعة الكلام. من ذلك قولُ الخنساء:

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتّى إذا ادّكرتْ فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ

فجعلها الإقبالَ والإدبارَ، فجاز على سعة الكلام، كقولك: نهارُك صائمٌ وليلك قائمٌ"[٩].

إي أنَّ عملية الاحلال من الناحية النحوية جائزة لغرض حدده سيبويه ب(سعة الكلام)، لأنَّ الاحلال لم يغير البناء النحوي، وقد وظف الألفاظ لإرسال المعنى المراد، وما نريده هو أثر الاحلال في الدلالة، لا من ناحية تلبيته للمعنى المراد قوله، فالإحلال من الناحية التركيبية من طرائق العرب في التعبير، لكن دلالته التعبير تختلف باختلاف الأسلوب المعّبر عنه، فيكون النحو عاملًا في تركيب الجملة على البناء المتفق عليه من قبل المجموعة التي ينتمي إليها القائل ضمن مقولة جومسكي في المقدرة اللغوية، ومؤثرًا في عملية انتاج الدلالة.

المبحث الثاني

نماذج من مسائل الإحلال

أولًا: الحذف

يقوم الأصل في التكوين اللفظي على فكرة العمدة والفضلة، أو الأصل والمكمل، لذلك نجد أنَّ العمدة في الكلام طالما بقي على حاله، لكن الفضلة أو الهامش ربما يصيبه الحذف، بحسب أسلوب الطارح للفكرة، وهذا يعني أنَّ الأسلوب في الصياغة النحوية هو الحاكم في بناء الجملة، الأمر الذي يعطينا الفكرة عند العرب تقوم على احلال لازم من لوازم الجملة على شيء لم يذكره لفظيًا، لكن الجملة تحيل أو تشير إلى ذلك الشيء، في ضوء وجود لازم لغوي، أو نحوي، لذلك نجد الجرجاني يُعد الحذف من باب المجاز "واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز، لنقلك لها عن معناها، كما مضى، فقد توصف به لنقلها عن حُكمٍ كان لها، إلى حُكْمٍ ليس هو بحقيقة فيها، ومثالُ ذلك أنَّ المضاف إليه يكتسي إعرابَ المضافِ في نحو: ﴿وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢، والأصل: واسئل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجرُّ، والنصبُ فيها مجازٌ، وهكذا قولهم: بنو فلانٍ تَطَؤُهم الطريقُ، يريدون أهلَ الطريق، الرّفع في الطريق مجاز، لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو الأهل، والذي يستحقّه في أصله هو الجرُّ، ولا ينبغي أن يقال: إن وجهَ المجاز في هذا الحذفُ، فإن الحذفَ إذا تجرّد عن تغيير حُكْم من أحكام ما بقي بعد الحذفِ لم يُسَمّ مجازاً"[١٠]، فمن الناحية النحوية تمَّ الاحلال في ضوء أخذ المضاف مكان المضاف إليه، فكان النصب، ليكون البناء النحوي على التقدير صحيحًا، لكن الفكرة الأساس لو كانت الجملة على التقدير الذي قاله الجرجاني، وكان السؤال موجهًا لأهل القرية، وهنا يتمّ

التحديد بأهل القرية من دون سواهم، هل تتم الدلالة الكلية التي أرادت الآية القرآنية ايصالها؟، إذا كان المعنى قد استوفى في التعبير عن الفكرة، فلا بد من تحديد الدلالة، هل بقيت كما هي؟ أم هناك جوانب متعلقة أُزيحت لحظة ادخال أهل؟.

لو أخذنا المعنى الذي طُرح عن طريق الملازمة اللفظية، والاتجاه نحو سؤال الأهل، فإنّ الدلالة تقتضي تشكيل الصورة عن الطرح القرآني على حادثة معينة، وعلى فكرة محددة، لكن يبدو أنَّ الحذف عمل على توجيه الدلالة إلى أبعد من ذلك، فالسؤال ليس لأهل القرية فحسب، بل هو سؤال موجه للمعالم المتبقية من القرية، وينتقل السؤال من صاحب السؤال الفعلي المفترض، إلى سؤال يطرح من قبل المتلقي، وهي لحظة انفتاح الدلالة على الزمنية والمكانية، لتكون أبعد من النقطة التي تُحدد ضمن أهل القرية، ولا صاحب السؤال، مع الأخذ بنظر الاعتبار السياق قد عمل على توجيه الدلالة بهذه الكيفية، لكن البناء الكلامي عمل تأكيد الفكرة بخروج المعنى من إطار الزمن المحدد والمكان المحدد، إلى منطقة الزمنية المطلقة للسؤال الصادر من السائل، والمكان الذي حدث فيه الحدث إلى جميع الأماكن التي أصابها حدث مشابه.

والتوجيه السابق الذي يدرك من المتلقي، لا يمكن تحديده عن طريق المتلقي فحسب، أو عن طريق السائل بل عملية مشاركة البناء الكلامي مع السياق الذي قرأه المتلقي[١١]، لتصبح عملية الاحلال في البناء النحوي عاملة أيضاً في توجيه الدلالة في ضوء التكوين الكامل للجملة من السياق اللفظي والسياق الكلامي والثقافة الحاكمة، بوصف المحذوف لو كان موجوداً ما كانت الدلالة ذاتها، وما كانت الرسالة كما أرادها الله سبحانه وتعالى، وليس هذا من باب ارتباط الدال بالمدلول، فهو أيضاً عامل آخر من عوامل توجيه الدلالة لحظة تغير الدال، بل ما نتحدث عنه الصياغة الكلية الجملة، والانفتاح الدلالي قائم على الانفصال الجزئي بين الدال والمدلول، وليس أهل بزيادة، فلو كانت زائدة لما دخلت الجملة في باب المجاز بحسب أشار الجرجاني " وإذا صحّ امتناعُ أن يكون مجرّدُ الحذفِ مجازاً، أو تحقّ صفةُ باقي الكلام بالمجاز، من أجل حذفٍ كان على الإطلاق، دون أن يحدُث هناك بسبب ذلك الحذف تغيُّرُ حكمٍ على وجهٍ من الوجوه علمتَ منه أنّ الزيادة في هذه القضية كالحذف، فلا يجوزُ أن يقال إن زيادة ما في نحو: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ " آل عمران: ٩٥١ " مجازٌ، أو أن جملة الكلام تصير مجازاً من أجل زيادته فيه، وذلك أنّ حقيقة الزيادة في الكلمة أنْ تَعْرَى من معناهَا، وتذكرَ ولا فائدة لها سوى

الصّلة، ويكون سقوطُها وثبوتُها سواءً، ومحالٌ أن يكون ذلك مجازاً، لأن المجاز أن يُراد بالكلمة غير ما وُضِعت له في الأصل أو يُزَادَ فيه أو يُوهَم شيءٌ ليس من شأنه"[١٢]، أي أنَّ الحذف دل على معنى، وعملية الاتيان بالمحذوف تؤدي إلى تغير في الدلالة، أما إذا كان الحذف لا يؤدي التغير فهو ليس من باب المجاز عند عبد القاهر.

ولست مع وجود فكرة الزيادة في الجملة، وعملية حذفها لا تؤثر في المعنى، بل لا يمكن حذف مفردة، أو حرف من دون التأثير في معنى الجملة، ومن ثمَّ التأثير في الدلالة الكلية للرسالة.

وقد أشار سيبويه إلى فكرة الاحلال أو الزيادة وعملية تحول البناء "وتقول: إنّ زيداً الظريفَ منطلقٌ، فإن لم يُذكر المنطلق صار الظريف في موضع الخبر كما قلت: كان زيد الظريف ذاهبا، فلما لم تجئ بالذاهب قلت: كان زيدٌ الظريفَ، فنصب هذا في كان بمنزلة رفع الأول في (إنَّ) وأخواتها.

وتقول: إن فيها زيدا قائما، وإن شئت رفعت على إلغاء فيها، وإن شئت قلت: إن زيدا فيها قائما وقائمٌ. وتفسير نصب القائم ههنا ورفعه كتفسيره في الابتداء، و(عبد الله) ينتصب بإنَّ كما ارتفع ثم بالابتداء، إلا أن (فيها) ههنا بمنزلة (هذا) في انه يستغنى على ما بعدها السكوت، وتقع موقعه. وليست فيها بنفس (عبد الله) كما كان (هذا) نفسَ (عبد الله)، وإنما هي ظرفٌ لا تعمل فيها إن، بمنزلة (خلفَك)، وإنما انتصب (خلفك) بالذي فيه"[١٣]، وهذه الجمل التي يوردها سيبويه تدل على تغير المعنى، فجملة (إن زيدا الظريف منطلق) تريد الاخبار على الانطلاق مع وجود الظرافة في زيد، أما حذف الانطلاق، فتؤدي إلى تغير الجملة بالكامل، لأن الاخبار يكون عن ظرافة زيد، على الرغم من أخذ الظرافة للنصب في الجملة الثانية، فالبناء النحوي حافظ على شكليته الأولى في النصب، لكن المعنى تغير، التي أفضت إلى تغير في الدلالة الكلية للجملة، وهو ما يصدق على بقية الجمل، إي أن الاحلال النحوي عمل على تغير المعنى للبناء الكلي للجملة.

وظاهرة الحذف عند العرب كثيرة، وبالتحديد في النص القرآني، "يحذف المضاف لقيام قرينة تدل عليه ويقام المضاف إليه مقامه فيعرب بإعرابه كقوله تعالى ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي حب العجل وكقوله تعالى... فحذف المضاف وهو (حب) ... وأعرب المضاف إليه وهو العجل وربك بإعرابه"[١٤]، فالإعراب انتقل من المضاف اليه إلى المضاف،

مع حذف المضاف إليه، لتكون فكرة الحب الموجودة في الإنسان هي المحذوف، وليس الخلاف على التقدير مجازًا في الحب، لكن النقطة المركزية لماذا حذف الحب؟

لابد من الأخذ بعين الاعتبار المفهوم العميق للجملة (البنية العميقة)، بوصف الجملة حاملة لإخبار المتلقي عن حدثٍ في زمن سابق، وهذا الحدث له سياقه الذي حدد المعنى، فالكفر إذا ما اتفقنا هو عملية رفض العبادة التوحيدية، ومن دون الواسطة، فإن المجتمعات القديمة ومنها مصر بالتحديد كانت تعبد العجل، بوصفه الممثل الواقعي للترميز الإلهي، فهو ممثل أوزريس الإله الشمسي[١٥]، فليست العلاقة علاقة حب فحسب، ربما يكون الحب جزءاً من هذه العلاقة بين العجل والمجتمع، لكن العلاقة ميثولوجية عقائدية، قائمة على بنية التفكير الديني الخاص بالمرحلة، ليكون استعمال النص القرآني قائمًا على عملية فتح الدلالة للمتلقي؛ للكشف عن مجموعة من المعاني وليس معنىً محدداً، فالنص اللغوي -الجملة الكلامية- لها سياقها الثقافي والميثولوجي والنفسي، والتواصل ما بين الفكرة والبناء النحوي عند العرب يأخذ جانب الدقة، والنص القرآني لابد من أن يكون أدق كلامٍ عربي؛ لذلك لا يمكن أن تختصر في التقدير، والتقدير ليس خطأً، لكن الحذف له دلاله على السياق الذي ولدت فيه الجملة.

"قد تحذف الحال في التركيب ويبقى عاملها، وعلامة ذلك أن تجد الكلام يحتاج إلى وصل الأول بالآخر، وذلك من خلال تقدير حال محذوفة تؤدى هذا الوصل ، ويكون موضعها النصب على الحالية، وهذا الحذف فيه حكم الجواز.

ففي قوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ . . .﴾. (الرعد : ٢٣ ، ٢٤). الجملتان (يدخلون)، و (سلام عليكم) يحتاجان إلى وصل بينهما، ولذلك فإنهم يجعلون الجملة الاسمية (سلام عليكم) جملة محكية بقول محذوف، وهذا المحذوف في موضع نصب على الحالية من الضمير الفاعل (واو الجماعة) فى (يدخلون) ، والتقدير : يدخلون عليهم قائلين: سلام عليكم."[١٦]، فالتقدير هو لغرض نحوي، كذلك يؤشر في بناء المعنى بالطريقة التي أرادها العرب، لا بالكيفية الواردة في النص القرآني، ولابد من التركيز في طريقة عرض النص القرآني بهذه الكيفية تحمل دلالة خاصة، و(سلام عليكم) هي لغة ثقافية للمجتمع العربي، وليست للملائكة، لذلك حذف التقدير الذي جاء

على مبنى ثقافي، ليكون المحذوف موكلًا للطريقة التي يرسل بها الملائكة السلام ، ليكون البناء بهذه الطريقة فاتحًا للدلالة، وعملية وجود المحذوف توجه المعنى وتحدد الدلالة، والمراد اضافة دلالة لما هو موجود، وهي الصيغة المثالية في التركيب لما هو غير مدرك.

ثانيًا: التقديم والتأخير"

لعل هذا الموضوع من أهم المواضيع في النحو العربي، لما يمتلكه من جوانب معنوية قد تحدث عنها النحويون العرب، وقد حدد عبد القاهر الجرجاني هذا الموضوع ضمن باب خاص به، لأهميته في توجيه المعنى، الذي يفضي إلى تغيير الدلالة "واعلمْ أنّ تقديمَ الشيء على وجهين:

تقديمٌ يُقال إنه على نيّة التأخير، وذلك في كلّ شيءٍ أَقرَرْتَه معَ التقديم على حُكْمِه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كانَ فيه، كخبرِ المبتدأ إذا قدّمْتَه على المبتدأ، والمفعول إذا قدّمتَه على الفاعل كقولك: "منطلق زيد" و "ضرب عمرًا زيد"، معلوم أن "منطلق" و "عمرًا" لم يَخْرجا بالتقديم عمّا كانا عليه، من كونِ هذا خبرَ مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكونَ ذلك مفعولاً ومنْصوباً من أجله كما يكونُ إذا أَخّرْتَ.

وتقديمٌ لا على نيّة التأخير، ولكنْ على أنْ تَنقُلَ الشيءَ عن حُكْمٍ إلى حكمٍ، وتجعلَ له بابا غيرَ بابهِ٣، وإعراباً غيرَ إعرابه، وذلك أن تجيءَ إلى اسمين"(١٧).

وإذا استثنينا الوجه الأول بوصف التقديم أو التأخير لم تتغير فيه الحالة الاعرابية، فإن الوجه الثاني هو ما يعنينا، لأنّ الجملة تغيّر بنائها النحوي، بإحلال شيء مكان شيء، ومن ثمَّ تغير البناء المعنوي، لكن الاختلاف يكون في دلالة الجملة، أو الاضافة؛ لذلك وضع الجرجاني أسبابًا منها (العناية والاهتمام)، وهذه الأسباب كفيلة بتغير دلالة الجملة؛ لأنَّ التقديم يعني إعلائها رتبة أو اعطائها الأهمية الكبرى في الجملة، الذي حدث في المثال الأول، مما يشكل البناء الكلي المراد من الجملة، وفي تحديد الرسالة، لكن البناء الثاني كان هادفًا لفكرة الاحلال، إي عملة صناعة معنىً غير الأصلي، الذي يؤدي إلى تشكيل دلالة إضافية للدلالة الأصلية

ثالثًا: المصدر المنصوب محل الفعل:

استعمل العرب المصدر المنصوب محل الفعل العامل على نصبه، وله صيغ عدة، منها صيغة الأمر "ومنه أن تقول: إكرامًا محمدًا. (إكرامًا) مصدر نائب مناب فعل منصوب، وفيه

ضمير مستتر تقديره أنت، هو فاعل المصدر (محمدا) مفعول به للمصدر، منصوب، ومنه قول أعشى همدان:

على حين ألهى الناس جلّ أمورهم فندلاً زريقُ المالَ ندلَ الثعالبِ

حيث (ندلا) مصدر ناب مناب فعل الأمر (اندل)، فنصب المفعول به (المال) وهو مصدر منصوب"[١٨]، ففي البناء النحوي نجد المصدر قد أخذ حكم الفعل، وهو ما يعني أن البناء الاعرابي حافظ على القاعدة، وأتم المعنى، لكن الفكرة الأهم في الكشف عن الدلالة لو جاءت الجملة على أصلها المقدر، ففي البيت الشعري والجملة أيضًا لا تكون الدلالة ذاتها مع وجود الافتراض، فالافتراض يعني تغيب زمني للفعل، وهو ما يعني الاطلاق في المعنى والقوة، بوصف المصدر يخلو من الزمن، مما يجعله حاضراً ضمن انسيابية الفعل، فيكون في كل وقت، مما يشكل دلالة مغايرة إذ تعني الجملة الأولى الاطلاق من كل المحددات الزمنية والمكانية، مع وجود فعل الأمر، وهو ما يصدق على البيت الشعري أيضًا، والاطلاق الذي يحدث مع وجود الفعل يكون محدداً ضمن زمنية، هذه الاخيرة لا نجدها مع الحذف الذي شكل المغايرة في الدلالة.

يقول سيبويه:" كان فيه الألفُ واللام أو لم يكن فيه على إضمارِ الفعلِ المتروكِ إظهارُه، لأنه يَصيرُ في الإخبارِ والاستفهامِ بدلا من اللفظ بالفعل، كما كان الحَذَرَ بدلا من احْذَرْ في الأمر وذلك قولك: ما أنت إلاّ سَيراً، وإلاّ سَيراً سَيْراً، وما أنت إلاّ الضّربَ الضربَ، وما أنت إلاّ قَتْلا قَتْلا، وما أنت ألاّ سَيرَ البَريد " سيرَ البريد ". فكأنه قال فى هذا كلّه: ما أنت إلاّ تَفْعَلُ فعلاً، وما أنت إلاّ تَفعَلُ الفعلَ، ولكنّهم حذفوا الفعل لما ذكرتُ لك.

وصار في الاستفهام والخَبَرِ بمنزلته في الأمرِ والنهى؛ لأنّ الفعلَ يقع ههنا كما يقع فيهما، وإن كان الأمرُ والنهىُ أقوى، لأنّهما لا يكونان بغير فعلٍ، فلم يَمتنع المصدرُ ههنا " أن يَنتصب "، لأنّ العمل يقع ههنا مع المصدر في الاستفهام " والخبر، كما يقع في الأمر والنهى، والآخرُ غيرُ الأوّل كما كان ذلك في الأمر والنهى، إذا قلت: ضَرْباً فالضربُ غيرُ المأمور"[١٩].

فعملية بناء الجملة النحوية ضمن القدرات الكافية عند العرب جعلتهم يختارون هذا البناء، ومن ثمَّ عملية التأويل على احلال المصدر محل الفعل، وتأكيد سيبويه على قوة الفعل لا يعني أنَّ المصدر لم يقم بالمعنى المراد، بل الفعل يعني تحديد الطريقة والشكل،

والجملة بهذه الصيغة التي وجد فيها المصدر تؤدي إلى الانفتاح في مفهوم السير على سبيل المثال، فهو لم يحدد السير الفعلي بأي طريقة، ليخرج السير من التحديد الزمني، والكيفي، فقد يكون على دابة، وقد يكون أمس أو اليوم أو قبل مدة من الزمن، وهي الدلالة المفتوحة في الاختيار بالنسبة للمتلقي، التي تفهم في ضوء السياق، وهو ما يصدق على باقي الجمل، كذلك لو نركز على (ضربًا) نجدها غير محددة بالفعل إن كان أمرًا، أو حدث في زمن محدد، أو أنه شكل صورة عن الطريقة التي قام بها.

ليكون المصدر بهذه الكيفية التي حل بها محل الفعل عاملًا في توجيه المعنى، وفي الانفتاح الدلالي الذي تشكل في ضوء وجود الخيارات أمام المتلقي، أي أنَّ المصدر عمل على عدم التحديد الزماني والمكاني والكيفي، وهو ما جعل الدلالة تتكون بطريقة اضافية للمعنى المحدد بالزمنية والمكانية والكيفية.

لنصل في نهاية البحث إلى الفكرة الرئيسة في الاحلال، مع النماذج المطروحة في البحث إلى أنَّ الاحلال هو عملية بناء الجملة بطريقة مغايرة عن الأصل، وبكيفية تساعد على اضافة دلالة جديدة، وهي النقطة التي ذكرناها في مفاهيم جومسكي عن الاحلال، والتي عمل على ذكرها العرب، من دون التركيز على الجانب الدلالي بالشكل الكبير، ولا نعني عدم التركيز النهائي، لكن التوجيه المعنوي الذي حافظ على وجوده في البناء النحوي الثاني، مثل اضافة في البنية الدلالة للبنية اللفظية المستعملة.

النتائج:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، تركزت في النماذج المستعملة في الاحلال، هذه النتائج لا تمثل النتائج النهائية في توجيه الاحلال للدلالة، لكنها رؤية قد تكون أقرب للبناء اللغوي المعبر عن الفكرة الرئيسة، ومن هذه النتائج:

١- وجود فكرة الاحلال عند العرب لكن بصيغ مختلفة عن الصيغة التي طرحها جومسكي، ربما راجع هذا الأمر إلى عمليات الترجمة، وربما إلى الطريقة المركزة في فكرة الاحلال التي جاء بها جومسكي وهو ما أميل إليه.

٢- إنَّ وجود فكرة الاحلال عند العرب لا تعني بالضرورة أنَّ جومسكي قد أخذها من العرب، كذلك لا تعني عدم تأثره بالأفكار العربية، بل هي عملية مزواجة فكرية،

وتطوير في البناء، وطريقة في تحليل اللغة التي لا تتسم بالحدود الثابتة.

٣- اتضح في ضوء البحث عملية الحذف وأثرها في توجيه الدلالة؛ لأنَّ الحذف عَمِلَ على تجلي السياق الثقافي العميق الذي بُنيت من اجله اللغة -الكلام- بهذه الكيفية، وحضور المحذوف يؤدي إلى تغيّر في الدلالة، وتغيّر في الرسالة.

٤- اتضح أنَّ التقديم له غايات عند العرب (العناية والاهتمام)، وهي الطريقة العربية ضمن فكرة التراتب في بناء الجملة، والتركيز في ما هو متقدم لغاية عند المرسل.

٥- كذلك كان لاحلال المصدر مكان الفعل دلالة في الاطلاق الزمني والمكاني، وهو ما يعني هدم التحديد الكيفي، الذي يؤدي إلى تشكيل دلالة اضافية للجملة.

هوامش البحث

(١) - ينظر: الإحلال في الكتاب لسيبويه- دراسة تأصيلية في ضوء النحو التحويلي، عاطف عبد السلام الرفوع، مجلة العلوم الإسلامية، العدد الحادي والستون، ١٤٤٢ هـ: ١٨.

(٢)- ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، حلمي خليل، مطبعة الاسكندرية، ١٩٨٨: ١٢٥ وما بعدها.

(٣)- ينظر: للغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦: ٧٣-٧٤.

(٤)- المصدر نفسه: ٣٣٧.

(٥)- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الهيأة المصرية للكتاب، ط٣، ١٩٨٨، ج٣: ١٥٨.

(٦)- ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة ناشرون لبنان، ط١: ١٩٩٤: ٤٩-٥٠.

(٧)- لسان العرب، ابن منظور، اليازجي ومجموعة من اللغوين، دار صادر، ط٣، ١٤١٤ه، مادة: حلل.

(٨)- ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر بيروت، ١٩٩٩: ٣ / ١٢٩٤ ، و مختار الصحاح، الرازي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت، ط٥، ١٩٩٩: ٧٩ .

(٩)- الكتاب: ج١: ٣٣٦-٣٣٧.

(١٠)- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني في القاهرة، دار المدني في جدة : ٤١٦.

(١١) - ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر الاسكندرية، ١٩٩٨: ٩٧.

(١٢)- أسرار البلاغة: ٤١٧.

(١٣)- الكتاب: ج٢: ١٣١-١٣٢.

(١٤)- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٩٨٠، ، ج٣: ٧٦.

(١٥)- ينظر: معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم، عيد مرعي، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب وزارة الثقافة، ٢٠١٨: ٢٦- ٢٧.

(١٦)- النحو العربي، ابراهيم ابراهيم بركات، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٢٨هـ: ٨٩.

(١٧)- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود أحمد شاكر، دار المدني جدة، ط٣، ١٩٩٣: ١٠٧.

(١٨)- النحو العربي: ٤٥٤.

(١٩)- الكتاب: ٣٣٥.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم

١- الإحلال في الكتاب لسيبويه- دراسة تأصيلية في ضوء النحو التحويلي، عاطف عبد السلام الرفوع، مجلة العلوم الإسلامية، العدد الحادي والستون، ١٤٤٢ هـ.

٢- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني في القاهرة، دار المدني في جدة.

٣- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة ناشرون لبنان، ط١: ١٩٩٤.

٤- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود أحمد شاكر، دار المدني جدة، ط٣، ١٩٩٣.

٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٩٨٠.

٦- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر بيروت، ١٩٩٩.

٧- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر الاسكندرية، ١٩٩٨.

٨- العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، حلمي خليل، مطبعة الاسكندرية، ١٩٨٨.

٩- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، ط٣، ١٩٨٨.

١٠- لسان العرب، ابن منظور، اليازجي ومجموعة من اللغوين، دار صادر، ط٣، ١٤١٤ه.

١١- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦.

١٢- مختار الصحاح، الرازي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت، ط٥، ١٩٩٩.

١٣- معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم، عيد مرعي، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب وزارة الثقافة، ٢٠١٨.

١٤- النحو العربي، ابراهيم ابراهيم بركات، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٢٨هـ.